مثلث باسكال السياسي/رهان في اللاهوت–السلطة السياسية–الحرب

ا.م.د.رقية سعيد خلخال

جامعة التراث/قسم علوم الامن السيبراني

Ruqqaia82@yahoo.com

الملخص:

يعد **باسكال** أحد فلاسفة العصر الحديث ورواد الفلسفة الغربية الحديثة وفي طرحه الفلسفي ميز **باسكال** بين نوعين من المعرفة "المعرفة الشعورية، والمعرفة العقلية، فالمعرفة الشعورية (الوجدانيه) هي التي تضع المبادئ الرئيسية للمعرفة العقلية بما في ذلك المنطق والاستنباط.. إلخ، وبرأيه أن المعرفة الحقيقية هي التي تجمع بين روح الابداع في القلب والوجدان وبين العقل الذي يدقق فيها ويبلورها. لكن كافة البراهين عنده هي براهين شعورية أو قلبيه، فهي التي تُكَوِّن المبادئ الأساسية، وعلى هذا الأساس يفصل **باسكال** بين العلم القائم على عمليات عقلية وبين الايمان القائم بشكل يقيني وشعوري، ذلك ان قضية وجود الله هي قضية رئيسية لا يمكن معرفتها سوى من خلال القلب والشعور وليس العقل، لان الله عنده لا يحتاج إلى براهين علمية لوجوده، بل فقط من خلال الايمان الوجداني العميق به، فبدون هذا الايمان – يقول **باسكال**– لا معنى لوجود الانسان وقيمته، فالايمان هو المصباح المنير الذي يضئ هذا العالم المرئي.

باسكال في الانسان: يقول "إن الانسان لغز غامض أو مخلوق مخادع، ويحلل عمق الانسان ويعريه من الاخلاق المصطنعة الكاذبة، فكل الناس بطبيعتهم يكرهون بعضهم البعض، والانسان من كثرة شروره أنشأ مفهوم الحب، ووضع القوانين والدساتير الاخلاقية ليسيطر على شروره.. وكل ذلك نوع من الزيف.. وليس لنا إلا الله للخلاص من كل الشرور وهذه الرؤية حسب رهان **باسكال** حول وجود الله والايمان به"، حيث طرح رهانه هذا بيقين مطلق وبشعور وجداني عميق يجسد الدليل الوحيد عنده لاثبات وجود الله، فالايمان الوجداني بالله، يشكل عند **باسكال** "ربحاً غير محدود في الجنه، وعدم الايمان هو خساره لا محدوده في النار"، لكن السؤال: ما هي طبيعة ذلك الايمان كما سأل بعضهم باسكال؟ هل هو الدين المسيحي وهل هم الكاثوليك أم الارثوذكس او البروتستانت ام المؤمنين بغير هذا الدين المسيحي من المسلمين والبوذيين واليهود وعشرات الأديان الأخرى؟ وهو سؤال مازال محوراً للحديث أو التفكير والاختلاف ما بعد **باسكال** وإلى يومنا هذا، دون أن نتجاوز أهمية البعد الاخلاقي والخير العام والابتعاد عن الشرور كمبادئ من الضروري التمسك والالتزام بها بغض النظر عن التفاصيل الايمانية أو غير الايمانية الخاصة بهذا الانسان أو ذاك، فهي خصوصية ترتبط بالشخص المعني في اطار قناعاته الذاتية (مؤمناً أو ملحداً) التي لا يجب أن تتناقض مع مبادئ العدل والفضيله والاخلاق ورفض كل مظاهر الاستغلال والشرور.

الكلمات المفتاحية: الحروب الدينية ،اللاهوت،السلطة السياسية، الاصلاح الديني.

تاريخ الاستلام :٢٩/٧/ ٢٠٢٤ تاريخ القبول: ٤ /٩/ ٢٠٢٤ تاريخ النشر: ١/١٢/ ٢٠٢٤

Pascal's Political Triangle: A Bet on Theology-Political Power-War

Prof. Dr. Ruqaya Saeed Khalkhal
AL-Turath University/Department of Cybersecurity Sciences
Ruqqaia82@yahoo.com

Abstract:

Pascal is considered one of the philosophers of the modern era and the pioneers of modern Western philosophy. Pascal distinguished between two types of knowledge: emotional knowledge and rational knowledge. Emotional (existential) knowledge is what establishes the main principles of rational knowledge, including logic, deduction, etc., and in his opinion, true knowledge is Which combines the spirit of creativity in the heart and conscience and the mind that scrutinizes and crystallizes it... But all proofs for him are emotional or heart proofs, as they are what constitute the basic principles, and on this basis Pascal separates between science based on rational processes and faith based on certainty and feeling. This is because the issue of God's existence is a major issue that can only be known through the heart and feeling and not the mind, because for him God does not need scientific proofs for his existence, but only through deep emotional faith in Him. Without this faith - Pascal says - there is no meaning to man's existence and value. Faith is the luminous lamp that illuminates this visible world.

And Pascal in man: He says, "Man is a mysterious mystery or a deceptive creature, and he analyzes the depth of man and strips him of false, artificial morals. All people by nature hate each other, and man, from his many evils, created the concept of love, and established moral laws and constitutions to control his evils... and all of that." A kind of falsehood.. We have no one but God to be saved from all evils.

This view is according to Pascal's bet about the existence of God and belief in Him." He put forward this bet with absolute certainty and a deep emotional feeling that embodies the only evidence he had to prove the existence of God. Emotional belief in God constitutes, for Pascal "an unlimited profit in Paradise, and no "Faith is an unlimited loss in hell." But the question is: What is the nature of that faith, as some of them asked Pascal? Is it the Christian religion? Are they Catholics, Orthodox, Protestants, or believers other than this Christian religion, including Muslims, Buddhists, Jews, and dozens of other religions? It is a question that still exists. A focus of conversation, thinking, and disagreement after Pascal and to this day, without going beyond the importance of the moral dimension, the common good, and staying away from evil as principles that it is necessary to adhere to and adhere to, regardless of the details of faith or non-belief specific to this or that person, as it is a specificity that is linked to the person concerned within the context of His personal convictions (believer or atheist), which should not contradict the principles of justice, virtue, morality, and rejection of all manifestations of exploitation and evil.

Keywords: Religious Wars, Theology, Political Power, Religious Reform.

المقدمة:

تعد الفلسفة السياسية الغربية من الفلسفات التي تناولت في طياتها العديد من الأفكار والتي مثلت لاحقا بساط من القضايا المجتمعية والدينية والتي شكلت بالنتيجة محور او بوصلة لأفكار الفلاسفة بالنظر لتأثرهم بالبيئة او المناخ الذي يخضعون له، ويضاف الى ذلك ان الفلسفة السياسية كانت تركز على جوانب مزدوجة تمثلت بالصراعات الدينية والعقائدية من ناحية وبطبيعة السلطة السياسية من ناحية أخرى، أدى ذلك ان تتشكل رؤية متكاملة للعديد من المفكرين خاصة الذين استلهموا من التوجهات الدينية او التيارات او الحركات السياسية فكرهم.

ويمثل المفكر والفيلسوف الفرنسي **باسكال** أحد اهم الفلاسفة الذين تركوا أثر في الفكر السياسي الغربي، اذ جمع بين العلم والدين وعاش حياته باحثا عن القداسة كما بحث في الفلسفة، وعاش في غمرة الإصلاح الديني في أوروبا واشرك في النزاعات الدينية القائمة، وحاول تأليف كتاب يتناول الصراعات الدينية من اجل اقناع الهراطقة بضرورة اعتناق الدين.

أسهم ب**اسكال** بكتاباته ومواقفه في الدفاع عن مذهب بور رويال خلال السنوات ١٦٦٢-١٦٦٤ ورأى بان المسيحية تفرض (ان نحيا لله وحده)، وكان يرى بان العقيدة موضوع ايمان لا تبحث بالعقل، كما حاول **باسكال** الاستغناء عن الميتافيزيقا لان براهينها على وجود الله لا تعطي يقين ثابت كما انها ليست موضوع منطق او برهان.

تتجلى فلسفة **باسكال** وفق رهان يشكل ثالوث تاريخي والمتمثل ب(اللاهوت-السلطة السياسية-الحرب) وكيف تمكن من ان يحقق تلك الازدواجية في هكذا مثلث فلسفي.

أهمية البحث:

تشير أهمية البحث الى الجذور الفكرية لقيام الصراع الديني الذي يعد أصله صراع اقتصادي-اجتماعي وفق تعبير الفيلسوف **باسكال** ويأتي ذلك من خلال معرفة اصل قيام الحروب الدينية والتقاطع مع الكهنوت والذي شكل لاحقا قيام عصر التنوير.

إشكالية البحث:

إشكالية البحث تنطلق من تساؤل هو هل ان مثلث **باسكال** السياسي له تأثير في الفلسفة السياسية الغربية وما نوع هذا التأثير؟ وهل ان اللاهوت والحروب الدينية كان لها تغيير في زمام السلطة السياسية وشكل ذلك سلسلة من الحروب انتهت بالإصلاح الديني؟

فرضية البحث:

تجيب الفرضية على ان الفيلسوف **باسكال** كان له تأثير كبير في الفلسفة الغربية الحديثة ولان ما طرحه في فكره وفلسفته كان لها إثر العمق في اللاهوت وإصلاح السلطة السياسية وهو امتداد للإصلاح الديني من خلال اعتماد منهجية السلطة السياسية على العقل او فلسفة العقل.

منهجية البحث:

تم الاعتماد في هذا البحث على المنهج التحليلي والمنهج المقارن للمساعدة في الوصول الى اثبات صحة فرضية هذا البحث.

يسلط البحث على الفكر السياسي الغربي والفلسفة السياسية للمفكر **باسكال** وكيف كان له تأثير في الموجة والحروب الدينية والكشف عن اصل عن تلك الحروب ومعالجتها وفق فلسفة العقل التي تدار من قبل الحاكم السياسي والذي يمسك بزمام السلطة السياسية.

المبحث الأول:باسكال–في ازدواجية حرب اللاهوت السياسي والإصلاح الديني

يعيش الفيلسوف **باسكال** في مناخ ديني ذا طبيعة حربية تمتزج مع المناخ العائلي الذي كان سببا في ان يصبح الفيلسوف الذي يطرح فكره وفلسفته حول السلطة السياسية واللاهوت السياسي التي في الاخر تمتزج مع الحرب، وان كانت البيئة التي عاش فيها تشكل مصدر الهام روحي او ربما بوصلة لانطلاق فلسفته، الا انها ساهمت وبشكل كبير في طرح الفكر السياسي له، من خلال التأثر بالأحداث السياسية والدينية وما يتعرض له الكهنة من اجراء السلطة الزمنية، يضاف الى ذلك ان **باسكال** يعد من الفلاسفة الذين كانوا يعانون من حالة صحية نادرة لا يمكن من السهل معالجتها وهو يطرح فكره وفلسفته وهو يعاني من مرض غريب لا علاج له، كل ذلك ساهم في تتويج فلسفته التي شكلت صدى في عصر النهضة والإصلاح الديني.

الفيلسوف **باسكال** يمتاز بالذكاء الخارق ووالده كان ضليع في الرياضيات، كان عارفا باللغة اللاتينية واليونانية والفرنسية وهو في الثانية عشر من عمره وجد من تلقاء نفسه الاشكال الهندسية، ووجد لاحقا المبادئ ثم ركب الأدلة، وبلغ قضية الثانية والثلاثين من الكتاب الاول ل(**اقليدس**) وقرا الكتاب لوحده، ان نبوغه يظهر واضحا من خلال التجارب الفيزيائية التي كان يجريها لوحده، (**رسالة في الأصوات**) يعد اول مؤلف له وهو يعد من المؤلفات العلمية والتي تبحث في قضايا الفيزياء (كرم ٢٠١١ ، ٩١) .

كان يحضر في مجالس علماء باريس قبل انشاء اكاديمية العلوم، وفي السادسة عشر من عمره دون رسالة في المخروطات، **ديكارت** تظاهر بعدم المبالاة لتلك الرسالة، وفي الثامنة عشر من عمره عين جابيا للضرائب وكان يعاني مشقة في الحساب، نبتت لديه صنع الة حاسبة تغنى عن القلم وصنع بعدها خمسين نموذج من الحاسبات واثير اعجاب عام.

في الثانية والعشرين من عمره اتجه صوب العلوم الطبيعية وأدرك ان توريتشلي ملئ انبوبة زئبق في حوض ملئ بالزئبق وترك الجزء الأعلى خاليا، أصبحت التجربة موضع اهتمام وتخيل تجارب عديدة ومتنوعة واستخدم سوائل مختلفة وآلات مختلفة واعتقد بالخلاء المطلق مناقض نظرة **ارسطو وديكارت**، ضمن أقوال عديدة في شروط المعرفة العلمية وقواعد المنهج القويم.

اجرى **باسكال** تجارب سنة ١٦٤٨ في سفح جبل وفي برج كنيسة وفي منزل خاص وكانت النتيجة ان الزئبق ينخفض بالارتفاع لان ضغط الهواء اخف في اعلى منه وربط قوانين التوازن والسوائل بمبادئ الميكانيكا العامة ومنهجه في التجربة يختلف تماما عن منهج **ديكارت** (كرم ٢٠١١ ،٩١-٩٢). ان منهج باسكال يقوم على أساس الاستدلال فهو يحل المسائل الطبيعية باستنباط نتائج من مبادئ وهو مقتنع بان تنوع الطبيعة تخضع للقوانين العامة.

ويرى بان كمال الطريقة الهندسية والبرهنة على وجود الأشياء لا يعني ان هناك ثبات بل على العكس فان الطبيعة تتغير باستمرار وكل شيء قابل للتغير، وهو لا يشك بعودة الطبيعة الى نفسها كون كل البراهين على وجود الأشياء تستند بالآخر الى العقل.

ولان العقل على حد تعبيره يزعزع المبادئ بالاستدلال وهي خارجة عن دائرته لأنه يقوم على أساس الاستنباط ويخرج من دائرة الشك لينتقل الى حالة اليقين.

ان رهان **باسكال** يقوم على أساس قاعدة وهي الدين، وفي كتابه خواطر يرى بان الزنادقة والمستخفين بالدين او اعتناقه هو امر ملفت لان بنظره ان الدين هو المهذب للنفس ولأنه يرى بان الدين ينبع من الله، او يشكل أساس له ومن الصعب ان احد يستخف بالدين او لا يركن اليه، وما الأدلة على وجود الله هي براهين ميتافيزيقية وليست من أنواع البرهنة الهندسية، هي ما ورائية، ويستند الى سؤال **ديكارت** حول الملحدين: **الا ترون الطبيعة التي خلقها الله والعجائب الأخرى التي من خلق الله؟** (كرم ، ٩٤-٩٥) .

ان **باسكال** يرى في الدين والاعتقاد بالله هو عقيدة بحد ذاتها كما انه يرى بان الدين يتلخص في قوله ان الايمان المسيحي يرضي جميع حاجات الانسان ولا يناقض العقل، وغاية الدين هي حيازة الفضيلة وعلى كل انسان الا ينسى النعمة الإلهية التي تساعده في البحث عنها، ويفرق **باسكال** بين (روح اللطف) وبين (الروح الهندسي) فالأول موضوع وجداني ومبادئه لا تعد ولا تحصى ولا توضع في صيغة محددة لأنه خارج عن مجال العقل، اما الثاني فانه يتناول مبادئ محدودة ويدركها كل عقل ويستخرج بمجرد تطبيق قواعد الاستدلال، ويبدو ان التفريق بين عالم العقل وعالم الروح هو تفرقة بين العقل النظري والعقل العملي.

يرى **باسكال** في الدين ليس مجدر اعتقاد وايمان وانما هو التعلق بالآخرة ويتحدى الملحدين ورهانهم بانهم الخاسرون في النهاية في حال عدم اعتقادهم وايمانهم بالله وتطبيقهم للدين، ويرى بان الدين مكسب روحي (دنيوي-اخروي)، ويرى بان اثمن شيء يمتلكه الانسان هو الدين، وفي نظرة أخرى للدين بانه يمثل غاية لا نهائية وكل عناصر الطبيعة تخضع لله ولان الله لا نهائي كذلك الدين الذي ينبثق عنه، والانسان بنظره الذي لا يلتجا الى الدين هو عدم، ولان بداية الأشياء ونهايتها تعود الى اللانهائي وهو الله.

ويطرح المعادلة المتناقضة في العلم الذي يرى بانه ادعاء غبي وهو مبني على العقل والحواس ويخدع الانسان بعشرات الطرق (العقل يشكل خدعة) وحدود وضيق وينتهي بانتهاء الجسد (موت الانسان)، واذا ترك العقل لم يستطع ان يفهم الاسرة، الفضيلة، او يدرك العالم الحقيقي .

يرى **باسكال** بانه ليس من الحكمة إقامة الدين على أساس العقل كما حاول بعض الجنسانيين، ان يفعلوا بالعقل، ولا يستطيع ان يثبت وجود الله ولا الخلود لان الأدلة في تلك الحالة تكون شديدة التناقض وكذلك لا يصلح الكتاب المقدس لها، وربما كانت للنبوءات التي يفسرها الاتقياء تشير الى المسيح دلالات مختلفة، كما ان الله في الكتاب المقدس يكون بهيئة ارقام ذات مدلول حرفي ولم يتم فهم اعمال الله مالم يتم الايمان بالمبادئ والمعتقدات لان الله تعالى ينير البصائر، ولو اعتمدنا على العقل لوجدنا انه غير مفهوم فماذا يستطيع الانسان ان يفهم؟لأنه عبارة عن تصور وليس كل تصور هو صحيح(كرم ٢٠١١).

ان فكر **باسكال** السياسي يتمحور حول موضوع اللاهوت السياسي ودور رجال الدين في هذا المضمار، اذ يرى ان اللاهوت المسيحي هو الأساس في الانسان من باب ان الانسان رهانه مكتسب من وجود الله والايمان به، ويبقى هذا الشعور بالأيمان مطلق لا حدود له وهو يشكل ربح غير محدود وخسارة في النار عند عدم الايمان به، وهو يرى في الديانة المسيحية بوصلة للأيمان بالله ولم يتجاوز البعد الأخلاقي ولم يفرق بين الديانة المسيحية في اختلاف توجهاتها سواء كانت ارثوذكس، بروتستانت، ام كاثوليك، كذلك لم يميز الايمان بالله بالنسبة للديانات الأخرى، اليهودية الإسلام والخ... وهل ان الايمان بالله متوقف فقط عند حد الديانة المسيحية، وربما كان **باسكال** يرى في اختلاف الأديان محور وتجسيد مهم لتحقيق اللاهوت بعيدا عن الديانة المسيحية لأنه يرى في اثبات العقيدة والايمان بالله هو الفكر الأساس لوجود الانسان، لان الانسان يرتبط بالله ارتباط روحي بغض النظر عن الديانة التي ينتمي اليها.
يضاف الى ذلك ان **باسكال** يعول على السلطة الملكية وهي تشكل صورة لسلطة الله بل هي اشراك للسلطة مع الله، ان العرف والقانون يعد باطل عند **باسكال** وكذلك وضع الملوك والعظماء ولم يكن اهتمام باسكال ينصب في السياسة بقدر ما كان يبدي ملاحظاته عليها، ويرى ان العدالة هي امر قائم وعندما لا يستطيع الناس ان يقيموا صرح العدالة سوغوا للقوة كي لا تكون العدالة والقوة معا، وحتى يسود السلم، ويمكن اعتبار ان فلسفة **باسكال** السياسية تكون اقرب الى حد ما الى فلسفة **هوبس** السياسية (الصوراني ٢٠٢٠) .

لم يكن **باسكال** مدافعا عن السلطة المطلقة او الملكية وانما أراد ان يضع إعادة وضع سياسته في الاطار العام للدفاع عن أصحاب مبرري العقيدة، ومدى شقاوة الانسان وهو بعيد عن الله، وعدم حقيقة السياسة، لذا كان يرى في اللاهوت بعيد وباطل اذا ما ارتبط بالله، ويسحب الامر ذلك على من يحكم ويتولى شؤون المواطنين وافراد المجتمع، ولا يحسن الانسان ان يجد محله في مكان مالم يجد نظام المحبة من الله والذي يتعالى على كل النظم العابرة وهو يمثل اخوة مع افراد المجتمع داخل الكنيسة (المنظمة الاجتماعية) دون كل المنظمات الوهمية الأخرى، وهكذا يظهر تمييز بين النظام السياسي وبين نظام

المحبة، اذ يدين **باسكال** اللامبالاة والسكينة والتفاؤل العقلاني واوهام الحق الطبيعي والتي تخضع بالنهاية الى منظومة الكنيسة والتي تتمثل او تتمجد (الديانة المسيحية) (توشار ٢٠١٠ ، ٤٧٩) .

ان فكر **باسكال** يدور حول الانسان وذاته وعلاقته بالله اذ يرى ان وجوده يتجلى وفق غاية وترتبط الأخيرة بالدين لان الانسان لا يمكن ان تكتمل ذاته الا بالدين، وهو يدرك مدى التناقض بين الحياة والدين اذ ما اعتبرها نوع من الاضداد، ويقتبس **باسكال** من **ابكتاتوس** حول الانسان وانه عظيم بالفكر وما يقوم به من واجبات تجاه الله وهو يخضع للعناية الإلهية، كما يرى ان اللاهوت يتجلى وفق ما سبق أعلاه، ويضيف ان الرواقيين اضافوا الى قدرة الانسان على توجيه الأفكار بنفسه والحصول على جميع الفضائل وربما يكون مذهبهم عقيم لانهم كانوا يرون سيطرة الانسان بالكامل على نفسه.

ويناقض **باسكال مونتيني** حول ما يستطيع العقل فعله دون الدين والايمان وحكم العقل بالشك وجهل عظمة الانسان وهو يشكل ضدين متناقضين ولا يمكن ان يكون الاضداد موضوع بعينه من طبيعة الانسان وربما يكون الانسان مرة بموضع العظمة او مرة بموضع الحقارة، والحقارة راجعة الى الطبيعة والعظمة راجعة الى العناية الإلهية (الذات الإلهية).

لقد كان **ابكتاتوس و مونتيني** يرون في الانسان الراهن يختلف عن حاله وقت الخلق، ويعلمنا الدين هو مصلح لحال الانسان ولان عظمة الانسان تكمن من اصله الإلهي وهو من صنع الله وان شقاؤه اتى من الخطيئة من (ادم) ويشكل حالتين هما: حالة الخلق، حالة الطبيعة، وتكمن الذات الإنسانية بالخلود ومدى تجرد الانسان من الاطماع الدنيوية وهو بذلك ينفذ لإرادة الله والتي تكمن في اللاهوت، وينظر **باسكال** الى اللاهوت السياسي على انه رذيلة وخطيئة لا تتناسب مع الذات الإلهية لان تطبيق الدين يتطابق مع إرادة الله على عكس اللاهوت السياسي الذي ينفذ إرادة الحاكم او ربما يكون هو الحاكم نفسه (كرم ، ٩٧) .

يرى **باسكال** بان هناك طائفتان من العقلاء وهما: طائفة يعبدون الله بكل قلبهم لأنهم يعرفونه وطائفة يطلبون من كل قلبهم لأنهم لا يعرفونه، واعراض الكافر عن التفكير في شقائه لن يغير شيء من حقيقته، ويعد الموت هو فهم باطني للدين، ويبدو ان للدين حق ويعرف مدى شقاء الكافر بدينه، ويعد الموت مستحبا لأنه يشكل علاج، واي علاج انه أبدى، وعلى حد تعبير **باسكال** "**اننا نذكر الملحد بالموت وبالأبدية، وهو لا يبالي فأي حماقة يحمل؟**" (كرم ، ٩٨).

ان ظهور البروتستانتية وما حققته على المستوى الديني والسياسي أدى الى تصاعد من وتيرة الحروب الدينية وان احتاج ذلك الامر الى اصلاح ديني بحت، وهذه الحروب الدينية في الواقع هي امتداد الى حروب اجتماعية، لان ما حصل هو في الواقع الاختلاف في الرؤى السياسية والاقتصادية انعكست بذلك على المستوى الديني، ويضاف الى الضعف الاقتصادي وما كانت تعانيه طبقة النبلاء بالإضافة الى ضعف الطبقة البرجوازية، هذا الضعف الاقتصادي أدى الى نضوج سياسي فهي كانت عاجزة عن

صياغة أهدافها او التعبير عن تطلعاتها وقضاياها، فلم تجد وسيلة الا بالصياغة الدينية (الطعان ، واخرون ، ٢٨٦-٢٨٧) .

ان انطلاق طبقة النبلاء والحروب الدينية التي عصفت فيما بعد في أوروبا شكلت امتداد مرعب أدى الى شلل الاقطاعية وتأجيج نار الحرب والتي اقترنت بالثروة يضاف الى ان طبقة النبلاء كانت تستخدم الأحزاب في مثل هكذا حروب من اجل استعادة الحريات القديمة وهي تشكل نوع من الاستقلال السياسي.

ونرى بعض الاقطاعيين انحاز الى البروتستانتية وتم التحشيد والدعم في جنوب فرنسا وفي مثل تلك المناطق كانت ضعيفة الاندماج بالوطن وتحتفظ بنوع من الاستقلالية والشعب القاطن في تلك المناطق هو ضد الكاثوليكية وشكلت نوع من الصراع مع الملكية وضد المذهب الديني وضد الضرائب لذلك شكلت حلقة ناجحة للإقطاعيين الكبار.

لقد تمخض الصراع الديني الطاحن بين البروتستانت والكاثوليك مذابح اجتماعية ونتج عن هذا الصراع نتائج عديدة منها ظهور مجموعة من الأفكار السياسية التي حاولت ان تفكك طبيعة هذا الصراع وان تتجه بنوع من الإصلاح له تحت مسمى (الإصلاح الديني).

في ظل ذلك الصراع كان **باسكال** يرى في الإصلاح بوصلة مهمة لأنه عاش في أجواء الحروب والصراعات الدينية، اذ كان يرى في القانون والحكومة يقومان على القوة وان كل سلطة هي اغتصاب وروح التمرد وعلى عكس ذلك هو مجرد وصف لكنه كان يرى في إيجاد حل لهذا التمرد وكان يرى خطورة الموقف تكمن في القوانين السياسية للتأكيد على العدالة ولذا ينبغي طاعة القوانين او العودة اليها في حال وجود صراع او حرب.

"انه من الخطورة بمكان القول الى الشعب بان القوانين ليست عادلة ذلك لأنه لا يطيعها الا لأنه يعتقد بانها عادلة"

"ان القوانين تترسخ بكل اعتبارها لا لأنها عادلة وانما لأنها قوانين، ذلك هو الأساس الغامض لكل سلطة" (الطعان ، ٣٠٥) .

ان **باسكال** يرى بان الله هو الملك او بالأحرى ان الملك هو الله والرعايا لا يستطيعون ان يقفوا بوجه الملك ولا يمتلكون أسباب معقولة، ويرى بان السلطة الدينية تتميز عن السلطة الدنيوية لذا باتت الحروب الدينية تشكل خطر على المجتمع اكثر من السلطة الزمنية، ويتعامل مع الكنيسة البابوية على انها دولة واصحبت على حد تعبيره سياسية بل أصبحت امبراطورية في ظل الحروب الحاصلة بين البروتستانت والكاثوليك (الطعان ، ٣١٠) .

المبحث الثاني: السلطة السياسية: رؤية في ماكنة الفضيلة وفلسفة العقل

يتجلى فكر **باسكال** السياسي ضمن منظومة واحدة وهو الاعتقاد بالله والاعتراف بالدين، وينسحب كل فكره بناءا على هذا الأساس، واذا كان **باسكال** يرى في المعتقد البوصلة الأساسية لتوحيد المجتمع والمحافظة عليه، فان هذا بحث ما يسمى باللاهوت السياسي، لان الحاكم في هذا الموضع يبني السلطة على هذا الأساس، وبالرغم من ان الحروب الدينية والصراع بين الكاثوليك والبروتستانت كانت من نابع ومعتقد الا ان الجذور تتحدث عن صراع سياسي–اجتماعي بحت تمت صياغته وفق قالب ديني نتجت عنه الحروب الدينية واراد من كل ذلك **باسكال** ان يسعى الى إيجاد اصلاح ديني هو في الأساس يعتبر اصلاح (سياسي–اجتماعي)، لذا فانه يتناول علاج للسلطة السياسية اعتقادا منه بان أساس كل الصراعات هي سياسية.

وقبل كل شيء إذا كان اصلاح المجتمع ينبع من معتقد ودين فان ذلك يرتبط بالقيم المجتمعية وهو ما بنى على أساسه ب**اسكال**، وتتصدر الفضيلة والتي تعد بوابة للقيم التي تبنى عليها المجتمعات، وترتبط الأخيرة بالعقل ولكن كيف وظف **باسكال** ارتباط الفضيلة بالعقل؟

يقول **باسكال** ان العقل يثبت ان الدين غير مفهوم وان كان يمثل جانب من الغموض ولان الالتزام بالدين يفترض ان نلتزم به وفق التكليف مقابل الحصول على النعيم الابدي فمثلا نضحي بالمتناهي مقابل اللامتناهي، والنتيجة واضحة، فالجانب الأول يمثل خسارة والجانب الاخر يمثل ربح (الاخرة)، وعلى سبيل المثال لو افترضنا ان المسيحي افضل من الكافر لأنه امين ومتواضع فالمنفعة تعود للدين وهو محضر كسب وليس خسارة وهو ما دعى اليه القديس **اوغسطين** عندما اعتبر الدين وجهة للإصلاح للمجتمع وهو اشبه بمنهج **مونتيني**، لان الدين يقوم على الفضيلة والتي تقضي على القلق وترتبط بالعقل، لان الأخير يرتبط بالإيمان (كرم ، ٩٨) .

ويعود **باسكال** الى العقيدة الدينية التي يرى فيها بانها جانب من النعيم الإلهي وهي امتداد للحقائق العقلية الطبيعية، مثل وجود الله، وخلود النفس، والتدليل يقوم على التجربة والاستدلال العقلي، ويقدم **باسكال** النظرة الى المسيحية او الديانة المسيحية بانها ترتقى الى مرتبة لا نهاية لها، وتعد من المراتب الثلاث الأساسية وهي: الجسم، الروح، محبة الله (كرم، ٩٩) .

ويشكل فكر **باسكال** السياسي حول الفضيلة والدين والسلطة السياسية والحروب الدينية فواصل حقيقية قد تختلف عن الطرح اليوناني، فمن ناحية يجد ارتباط الفضيلة بالدين، ومن ناحية أخرى ترتبط الفضيلة بالعقل بالرغم من الاختلاف الواضح الذي تجمعهما الفضيلة وهما (الدين–العقل)، يرى **باسكال** بان العقل ضروري لقيام السلطة السياسية لان الحاكم او الملك برايه يتعامل مع الكنيسة على أساس انها امبراطورية اذ تختلف السلطة الدينية عن الدنيوية (الطعان ، ٣١٠) .

وبالعودة الى وقائع التي حدثت في القرن السابع عشر والثامن عشر وحركة الإصلاح الديني والايمان بالتقدم، فان الثورة الفلاحية التي حدثت ربما أحدثت تحول ديموغرافي والدمار البيئي والتنافس على الموارد لان الليبرالية كانت تحوم حول الجانب الاقتصادي من خلال ان مجتمع الانوار كان يجد عضاضة في العبودية وتحمل عنصرية ماحقة وابادة ساكنة وفق طريق التقدم، وكذلك الامر بالنسبة للذين يحبون ان يعيشوا في ظل القرن الثامن عشر على حد تعبير تشومسكي (تشومسكي ، واخرون ، ٣٦-٣٧) .

ان الدروس التي يمكن استخلاصها من التاريخ ومن التجربة تكون اكثر واقعية لان ذلك يكون باتجاه تغيير رهان باسكال، ولربما ان الإصلاح الذي يبتغيه باسكال ان يعود للنظام وما فائدة الأخير اذا كان يعود للنظام على نفس الوتيرة، اذ يجب للإصلاح على الأقل ان ينهي العبودية او ان الغائها يعود للنظام او ممارسات ذلك النظام او القوانين، فان رهان باسكال يقضي ليس فقط على سلبيات السلطة بقدر ما هو القضاء على العبودية لان الغاء الأخيرة يعد نجاح للثورة ضد السلطة المستبدة وهو ما عبر عنه في نضال الإصلاح الديني ضد الكنيسة ابان القرون الوسطى او عصر النهضة والدخول الى حيز التنوير، وهي ليست اوتوبيا بقدر ما هي واقعية تحيل دون استمرار الاحتكار للسلطة او الاستبداد بها، لان الثورة في سبيل التحرر والحصول على الحقوق والحريات هو التقدم الحقيقي الذي يؤكد عليه باسكال، وبالمقابل وجود الـوان مـن الجور والعنف ضـد مـن يقومون بالثـورة وهو الاضطهاد بكل معنى الكلمة (تشومسكي ، ٨٤) .

ان فلسفة العقل تتجسد في فكر باسكال وفق منظور معين او خاص وهو ألوان من التغيير والتقدم التي نادت بها العصور الوسطى والنهضة السابقة، ويرى باسكال بان شكل التحرر والتقدم يبقى في رهان العقل الذي يتصارع ضد السلطة لان الأخيرة يحكمها الكهنة وهي تشكل امبراطورية بحد ذاتها، يضاف الى ان التحرر واجب في ظل تلك الظروف بسبب احتكارهم للسلطة السياسية التي تجعل من الافراد عبيد لهم، ويرى باسكال بان الطبيعة البشرية مسالمة فكيف لها ان تتحارب مع كهنة مسيطرين على السلطة؟ ان باسكال يرى في العقل طاقات لا محدودة وهو مصدر تخلص الانسان من شقائه وهو سر عظمته، ان العقل يعمل ببطء وهو دائم الاستطال ويمكن الانسان من العمل وكل الحجج تدخل ضمن رهان العقل (كنعان ، اندبندنت عربية نت) .

ان الفضيلة تطلق على عمل أخلاقي او هي تعد من الاعمال العظيمة وهي اخص من الواجب، كما ان الفضائل تختلف في الأمم اختلافا كبيرا مرتبة حسب أهميتها او تتبع المركز الاجتماعي والظروف المحيطة بها، وان اختلف معناها حسب العصور فان اليونان يرون بانها تمثل الشجاعة والعصر الحديث يرى في الفضيلة هي الصبر وتحمل الأمور الجسيمة ويفهم في الوقت المعاصر بانها تعني التطور في حالة الأمم العقلية والاجتماعية، اما الفيلسوف باسكال فانه ينظر الى الفضيلة من زاوية ارتباطها بالعقل ومدى أهمية تقديم الفضيلة من كونها تنبع من بوصلة أخلاقية ترتبط بالعقل أولا وأخيرا.

كما يرى باسكال بان السلطة السياسية لا يمكن ان تدار الا بحاكم يمتلك قدرة وحواس تمنحه جانب روحي يتمكن من إدارة العامة، ومن ضمن تلك المعايير ان يمتلك العقل الواعي من اجل تحقيق العدالة والمساواة بين المواطنين او العامة.

ومن جانب اخر يرى باسكال ان السلطة السياسية الزمنية ترتبط بالحاكم الذي يرتبط بالأساس بجانب روحي وديني متعلق بالله الذي يمنحه العقل الواعي، او تشكل الفضيلة رقي العقل حسب تعبير باسكال.

ويذهب سقراط الى في رؤيته للفضيلة بانها تمييز بين الخير والشر وعمل الخير وتجنب الشر كما ان اقدام الانسان على عمل الشر حسب تعبير سقراط بانه يعد جانب من الجهل، فالشرور ناشئة من الجهل، والخير ناشئ من الوعي والعقل، والذي هو نتاج الفضيلة، وبراي سقراط انه ليست هناك الا فضيلة واحدة وهي المعرفة وبتعبير باسكال هي العقل، وان شاء أحد ان يقسمها الى شجاعة او حكمة او عفة او عدل.

اما افلاطون يرى في الفضيلة بانها تنشا من قوى الانسان الثلاث وهي القوة العاقلة وفضيلتها الحكمة، والقوة الغضبية وفضيلتها الشجاعة، والقوة الشهوية وفضيلتها وان اعتدلت فإنها تمثل جانب العفة والعدل.

اما ارسطو يرى في الفضيلة هي خضوع الشهوات الى العقل وهي رؤية مقاربة لرؤية باسكال، وتعني الاعتدال او عدم التفريط ولهذا فان ارسطو وضع نظرية الاعتدال يعني التوسط وعدم التهور او الجبن (مؤسسة هنداوي) .

ان بعض الفضائل هي ليست حلقة وصل بين رذيلتين حسب تعبير بعض النقاد وانما يتم تقسيم الفضائل الى معيار اخر مثل فضائل شخصية كضبط النفس وتهذيبها والفضيلة الاجتماعية كالشجاعة وفي حالة واحدة فقط ان وازن الانسان بين تلك الفضيلتين فانه قادر على تحقيق الخير والعدل للمجتمع والذي ينبني وفق العقل، وهو بدوره يقوم بتحقيق او انجاز حقوق الاخرين.

ان طريقة غرس الفضيلة يتم عن طريق الدولة وتعليم مواطنيها على العمل والعدل في الوقت نفسه، وهو يرتبط ارتباط مباشر بالحاكم السياسي الذي يدير المجتمع والدولة بالعقل، وهو ما يحتاج الى امتلاك الفضيلة وفق تطابق رؤية سقراط وباسكال، كما يتم أيضا تطبيق الفضيلة عن طريق القدوة الصالحة يعني اختيار الحاكم الصالح، يضاف الى تمجيد ابطال الدولة ومعرفة سير أعمالهم واخلاقهم وترجمة العظماء، ومعرفة سير الحكام السياسيين او من يديرون زمام السلطة السياسية، كما ترتبط الفضيلة بعلم الاخلاق والذي يعني بتقويم المسار الصحيح للمجتمع من اجل ان يكون فاضل.

العلوم الطبيعية الأخرى تتعلق بغرس الفضيلة في المجتمع كما ان الفضائل ترتبط بالصدق والشجاعة وهي صفات يمكن ان يتحلى بها الحاكم السياسي من اجل تحقيق العدالة، لأنها تعتمد على ضبط النفس وتقليل الانغماس في الشهوات، كما ان الشجاعة تتعلق بالعقل وترتبط به من خلال تصرف

وسلوك الفرد تجاه العديد من القضايا لأنها أيضا ترتبط بالخضوع لحكم العقل والاعتدال في ضبط الانفعالات.

الزهد أيضا يرتبط بالعقل من خلال عدم الاسراف وهو جزء لا يتجزأ من الفضيلة كما ان الفضيلة تمثل شكل من اشكال العدالة والمساواة من خلال عدم التحيز الى جانب معين وهي صفات من الضروري ان يتحلى بها صاحب السلطة السياسية لان المتجمع يتضمن حقوق وواجبات الافراد فكيف من الممكن ان يستعمل قدرته في إدارة الحكم من خلال تطبيق القوانين على الجميع دون ظلم، واذا كانت حكومة كل مجتمع هي القائمة بالأمر فهي لا تعد عادلة الا اذا قامت بواجبها تجاه المواطنين، وعلى حد تعبير افلاطون " ان خير حكومة هي التي تضع كل فرد من الامة في خير مكان يليق به ويستطيع ان يظهر به مواهبه ثم تمده بما يحتاجه لإداء ما عهد اليه به" (مؤسسة هنداوي) .

ان الفضائل وان اختلفت في مضمونها فهي تعد ضرورة قصوى في أداء السلطة السياسية او من يدير دفة الحكم، وتعد المساواة مضمون مهم من مضامين الفضائل والتي شكلت محور مهم من محاور الثورة الفرنسية (حرية–مساواة–اخاء) وهي تشكل طبقة واحدة لكل المواطنين عند وقوفهم امام القانون وهي حق لكل انسان، ويقابل ذلك العدل والرحمة والتي تعد مكملة لفضيلة المساواة وهو فوق الرحمة، وتمثل بذلك مجموعة من الفضائل التي تقدم على طبق الطاعة للحاكم السياسي.

ان الطاعة طرحت من قبل مفكرين وفلاسفة عدة وتعد زاوية من زوايا نجاح الحكم يقدمها الافراد مقابل الحصول على حقوقهم بعد أداء ما عليهم من واجبات هكذا يطرح روسو في قضية الطاعة في مؤلفه العقد الاجتماعي، مقابل الطاعة يحصل الفرد على جزء من الحرية التي يكفلها له القانون (مؤسسة هنداوي) .

ان اختلاف المفكرين في طرحهم الفلسفي حول معنى السلطة السياسية ومدى ارتباطها بالفضيلة وارتباط الأخيرة بفلسفة العقل هو لا يعد اختلاف يشوبه خلاف، على العكس ان اختلاف الآراء تعد تلاقح فكري يمكن من خلاله تأسيس لنظام سياسي ورؤية شاملة تعمل على تنظيم الافراد وعملهم في المجتمع.
ويتقارب الفيلسوف الفرنسي باسكال مع سقراط ويختلف مع افلاطون، الا ان المحصلة الأخيرة لقاعدة اللاهوت والحروب الدينية هي واحدة (العقل) وما يفرضه من سلطة سواء على الحاكم السياسية او ما تفرضه السلطة السياسية او ما يفرضه على المواطن.

الخاتمة

تعد الفلسفة السياسية الغربية الحديثة بوصلة انطلاق للتغير الفكري والفلسفي الذي طرح من قبل فلاسفة عدة، وهو يعد امتداد للحروب الدينية التي شكلت عقبة امام التطور الحديث وعقبة امام طرح الأفكار الفلسفية سواء ما يتعلق بثورة كوبرنيكوس او ما طرحه الفيلسوف ديكارت، وهي تحدي للكهنة عندما فرضوا سلطة الكنيسة وأصبحت السلطة الدينية هي الفاصل الحيوي لإدارة المجتمعات.

ويضاف الى ذلك ان انحسار الكهنة وتراجع السلطة الدينية وان شكلت محور أساس لأنها امتداد لسلطة الله الا انها أصبحت عقبة امام الجميع، من خلال فرض المعتقدات والقيم التي أصبحت لا تتلائم وطبيعة المجتمعات بسبب التطورات والتوسع في المدن وازدياد التجارة والعمل مع الأقاليم الأخرى.

طرح باسكال السياسي كان له تأثير كون انه استند على فلسفة العقل ومغزى الحروب الدينية هي تتنافى مع العقل، لذا التصادم كان واضح مع الكهنوت وازدياد الحروب الدينية قوة على كل من يطرح فكرة، ومع انحسار السلطة الدينية وتراجعها وتقدم السلطة الدنيوية وظهور شخص الحاكم السياسي أصبحت الفلسفة تتجه صوب الأخير(الحاكم السياسي) والية ادارته للسلطة السياسية من خلال تشخيص العقبات لكل مجتمع والعمل على الاستناد على العقل، هكذا يتفق اغلب المفكرين والفلاسفة بان بناء المجتمعات وازدهارها يقوم على فلسفة (العقل).

المصادر باللغة العربية : -

١- كرم ، يوسف . ٢٠١١ . *تاريخ الفلسفة الحديث*، الطبعة الاولى ،القاهرة : دار العالم العربي للنشر .

٢- الصوراني ، غازي . ٢٠٢٠ . " بليز باسكال " . موقع الحوار المتمدن .

٣- توشار ، جان . ٢٠١٠ . *تاريخ الافكار السياسية من عصر النهضة الى عصر الانوار* . ترجمة : ناجي الدراوشة . دمشق : دار التكوين للتأليف والترجمةو النشر .

٤- الطعان ، عبد الرضا ، واخرون . *تاريخ الفكر السياسي الحديث* .

٥- كنعان ، مارلين . " الفيلسوف باسكال وجد في العقل عظمة الانسان " . www.independetarabia.com

٦- فضيلة الاخلاق . مؤسسة هنداوي . رؤية في فكر باسكال السياسي . http://www=hindawi.org .

المصادر باللغة الانكليزية : -

1- Karam, Youssef. 2011.[tarekh alfalsfa alhadethah]. *History of modern philosophy*. First edition. Cairo: Arab World Publishing House.

2- Al-Sourani, Ghazi. 2020. *Blaise Pascal*. Al-Hiwar Al-Mutamaddin website.

3- Tushar, Jan. 2010. *The history of political ideas from the Renaissance to the Enlightenment*. Translated by: Naji Al-Darawsha. Damascus: Dar Al-Takween for writing, translation and publishing.

4- Al-Taan, Abdul Reda, and others. History of modern political thought.

5- Kanaan, Marilyn. “The philosopher Pascal found in the mind the greatness of man.” www.independentarabia.com

6- The virtue of morals. Hindawi Foundation. A vision into Pascal's political thought. http://www=hindawi.org.